

كيف تلقى والدي خبر حكم الإعدام بشقيقه حسين (صارم)!



الشهيد حسين الشيبلي (صارم)

البلاغة صفحة ٤٦٦ جلد ٢ دار الفكر بيروت
٢- الترشالة. كلمة فارسية مؤلفة من كلمتين -حرس- وتعني -حاضر- و - الو- وتعني - الله ومعناها الآلة المحمضية تحفظ وتطبخ مع اللحم.
٣- المقصود شقيق الوالد حسين الشيبلي (صارم) ورفيقه يوسف سلمان يوسف (فهد) وزكي محمد بسيم (حازم) / الناشر.
٤- المقصود الشيخ العلامة محمد رضا الشيبلي وأخيه شاعر ثورة العشرين الشيخ باقر الشيبلي / الناشر
٥- هو أحد أعلام الحرية. صار والياً في العراق عام ١٨٦٩ وقد قام بخدمات جلّى. وهو الذي أسس مدينة الناصرية وسماها باسم زعيم المنتفق سعدون باشا لاسترضائه حيث كان دائماً في خصام ضد الحكومة، وأراد مدحت أن يجعلها في الجانب العالي، إلا أن سعدون رفض ذلك فأسسها حيث هي الآن ليغرفها حين يصطدم بالحكومة، ويكون الماء بينه وبينهم!
كان مدحت شخصية ديمقراطية. وقف ضد مظالم العثمانيين فلم يرق لهم ذلك وانتهى أمره، أن قضى عليه خنوقاً، وحز رأسه وأرسل في صندوق إلى الأستانة.
٦- توفي أخي هذا في ٢٦/١٢/١٩٧٠ بعد حياة قضاه بين الاختفاء والسجون. وقد أصيب بالآفة بعد مجزرة سجن الكوت حيث تكسرت بعض أضلاعه. وبعد انقلاب البعث الدموي في ٨ شباط ١٩٦٣ أصيب بالرئوي بسبب ما لقي من تعذيب. ومات متأثراً من الربو.

ولكنني نجوت وبقيت بعيداً عنها - أمي - في الناصرية. فهي تراني مرة من كل عام حين تحل العطلة الصيفية. ولقد أحلت إلى المجلس العرفي العسكري الأول مرتين، ولكنني نجوت رغم أن رئيس المجلس هو النعساني أيضاً. وقد راح يؤذيني بلهجة المنفعل المتأثر إشفاقاً على أيتها، إذ قال: "البيش تأذون هذا الرجل؟! تذلون بدروب جابت لكم مصايب، وهو أب حتماً متهمون علينا!"
وخلال المرافعة لم يشهد علي أحد، وكنت متمهماً بالمشاركة بتظاهرة في النجف. ومددت يدي إلى جيسي لأخرج أوامر مديرية معارف المنتفك التي هي بنفس تأريخ حدوث مظاهرات حدثت في النجف بينما أنا كنت حينها موقوفاً في بغداد. وأطلق سراحى بعد انتهائهما. وكنت حين أرسلت مخفوقاً إلى بغداد معلماً في إحدى مدارس الناصرية. وشهد شريطان، أنهما رافقا المظاهرة في النجف وأن المتهم لم يكن في النجف وإنما نعلم أنه في الناصرية.

وعندما لاحظ النعساني أنني أجبت في جيبى، صاح بي: "شريد أطلق!" قلت: كتب رسمية، شئت إنني لم أكن في النجف أثناء حدوث المظاهرات.

ردّ عليّ: ومنز اتهمك؟ عدّ شهد عليك!

وصدر القرار ببراءتي!

وبعد سنين على هذه الأحداث، أتساءل: أليس غريباً أن العهد الملكي في محاكمه العرفية يرثني لعدم توفر الدليل، بينما في العهود الجمهورية وتبديل الحكومات، يحاكم الكثرين في ظروف اضطراب، وتصدر عليهم أحكام قاسية وهم براء من الذنب الذي اتهموا به! ومنهم - أنا - فقد حكم عليّ بالسجن سنتين عام ١٩٦٤ وأنا لا ناقة لي ولا جمل. فلم أكن منتسباً إلى أي حزب. ولما أنهيت حكومتي بقيت عاطلاً عن العمل إذ لم يعيدوني إلى وظيفتي إلا بعد مرور ما يقرب من خمس سنين ذقنا البؤس والجوع. ومدحت الله حين قالت إحدى صغيراتي مداعبة وهي تأكل خبز خالياً من كل آدم: "الله! ما أذ لم هذا الدجاج الذي أكله؟!"

ورفعت رأسي إلى السماء وقلت: أن تفهم صغاري حقيقة وضعنا المادي نعمة رائعة. أنها دليل الفهم والشعور الطيب.

من كتابات المرابي الراحل

علي محمد الشيبلي

الناشر / محمد علي الشيبلي

السويد ٢٠٠٩ - ١٠ - ١٩

الهاوش

١- نعمان بشري! لم أكن أعرف هذا الاسم، حتى اقتنيت نهج البلاغة باشتراك في المحييات، واطلعت أنه كان من أصحاب معاوية في صفين، وسمي ابن بشير سعد الأنصاري. وقد حكم الكوفة ومحض، وإليه ينسب تأسيس مدينة معرة النعمان وقتل عام ٦٨٤م (نهج

ركبت وعائلتي القطار. وكاد أن يتحرك، سألني أحد الركاب من سمع النبأ، فبادرني:

- ولماذا تسافر إلى البصرة؟!

أدركت عند هذا إلى أية درجة أنا قد فقدت وعيي. وساعدني الرجل في إنزال أطفالي من العربة. واتجهت إلى قطار بغداد.

قضيت الليل يلغنا حزن وذهور. وصمت عميق. وصلنا النجف بعد طلوع الشمس بما يقرب من عشرين دقيقة. اقتربنا من البيت. وأمر مدهش يفاجئني. اثنان من شرطة الشعبة (الأمن) يقفا عن يمين وشمال البيت. دخلت البيت فبهت العائلة بالنواح والصياح. انهارت قواي. شاركت النساء بلا وعي النواح والطم. إذن فعلها الأندال. نفذوا الحكم، ثم أذاعوا قرارهم. كان قرار حكم الإعدام صدر يوم ١١/٢/١٩٤٩ وقد صدق تلقوياً - كما ذكر هذا أخيراً - ونفذ فجر الاثنين ١٤ - ١٥/١٥/١٩٤٩. وقد أشرت إلى هذا في إحدى قصائدي بربائه:

ظالم من جنبه في حكمه بعد أن نفذ ما شاء أذاعا أعود إلى الملم النحس. مدحت باشا شهيد استبداد حكم السلطان عبد العزيز، صار رمز العقل الباطن به إلى أخي، ونعمان بشري؟ لا بد أنه الرجل الذي أسر إليّ ضميره، وضعفت نفسه وأعطت رجولته. ورَمَزَ العقل الباطن إلى أعضاء الحزب الشيوعي الذين وشى الجندر - مالك - بأسمائهم ب - الترشالة - وشرطة التحقيقات الجنائية ب - القط الأسود - ويلي! أن هذا الملم كان قصته مسلسل متراصة الحلقات. تحققت أبحاثها بكاملها.

وسوف لن ينسى التاريخ هذه الجريمة البشعة. كآية جريمة يقوم بها حكام مجرمون. سيحدث التاريخ، ويروي قصة البطولة في هؤلاء الثلاثة الذين صدعوا المشانق، دون أن يتراجعوا أو يعوقهم ضعف تحت سيطر التعذيب وبالمناسبة فإن الملم الذي عرض لأمي هو الآخر تأكيد عجيب. فقد اختفى عنها أحد اللبالب تماماً، لا هو ولا صوته. أنه - حسين - الذي غادر هذه الحياة شهيداً على مشقة الجهاد والبطولة. وظل اسمه وذكره وما كتب نبراساً للمناضلين. أما اللبالب الثاني، الذي كانت تسمع صوته ولا تراه، هو أخي محمد علي (٦) الذي القي القبض عليه بعد أسبوع من إعدام أختنا وقد شهد إعدام أخيه، وسمعه ينشد وهو يخطو خطوات متزنة، نحو خشية الإعدام، أبيتاً من قصيدة الجواهري الكبير:

أتعلم أم أنت لا تعلم

ولما صدع على المشقة، قال:

من المناسبة الطبية أن المشتقة نصبت لي في ذات المكان الذي كنت أثير منه المظاهرات الوطنية!

وأحلت أنا إلى المجلس العرفي مرتين في عام ١٩٤٩ - الأولى في ١٧ نيسان والثانية والثالثة في ٢٠ أيار -

إرشادات هذا الشيوعي

قلت: وهل تعرف أسمه؟

أجاب: سأخبرك عندما أعرف من (...) ذلك.

وعصراً، لقيني وقال: اسمه (مالك سيف)!!

تظاهرت بالبساطة. ولكنني كنت أحس أنني كمن حملته عاصفة هوجاء، إلى أعالي الجب المغبر المكفهر، تغلبه العاصفة وقد تهوى به.

في مساء ١٦/٠٢/١٩٤٩ كنت في نادي الموظفين.

وأعلن الراديو أحكام المجلس العرفي.

قمت، ووقفت مستنداً إلى الرف الخشبي الذي وضع عليه الراديو. وكأني عرفت سلفاً، أن الأحكام هذه تخص أخي ورفاقه.

راح المذيع، يذيع قرار المجلس العرفي الأول ابتداءً من مقدمته الروتينية: بتاريخ ... سيق المتهمون (...). و (...). الخ. وانتهى بقرار الحكم -الجائر- بالإعدام شقاً حتى الموت بالإنزال الثلاثة. ذكرهم بأسمائهم، حسب ترتيب المواد التي طبقها عليهم رئيس المجلس -عبد الله النعساني- وأعضاء هيئة المجلس، بوحى أرحم إليهم من سيادهم، وانتقاماً لهزيمتهم وسقوط معاهدة -بروتسموث-.

تلقيت النبأ بصمت، ورغم ما جاش في نفسي من ألم طاع. ولم تندحر حين هذا من عيني دمعاً. ولكن لم أدر أي لون صبغ وجهي؟ وقد وقف جمع كبير من رواد النادي يستمعون لقرار الحكم. وكان إلى جانبي يقف الحاج طالب، أحد وجهاء الناصرية ومثلها في المجلس النيابي أو مجلس الأعيان. ورغم أنه كان يعرفني، فقد سألتني: "وهل حسين هذا قريب للشيخ الشيبلي؟"

قلت: نعم. فصاح: فكيف سكت عنه؟! فانسجبت، فأومأ إليهم بعضهم، أن الذي كلمته، شقيقه. فصاح: الله أكبر. شنو ها الصير؟

وانتهى إعلان الخبر فغادرت النادي على عجل إلى البيت، بماذا كنت يا ترى أفكر؟

بالطبع لم أكن أتصور أن أحكام قد تردوا إلى أزدل حد من الندالة؟

وصلت البيت. وجدت زوجتي بين يديها قدر - ألتسن - تغلبه في المصفاة، وأطفالي في الغرفة، بعضهم يلعب، وبعضهم يراجع دروسه. لم أتمالك نفسي. جرت دموعي، اضطرب صوتي، وتعثرت الكلمات في فمي، صحت:

- تهبني. لقد حلت مصيبة. صدر حكم الإعدام على حسين.

رمت القدر بدون وعي من يديها. وراحت تظلم وجهها. وجاء بعض الأصدقاء، وراحوا يؤكدون ضرورة السفر إلى بغداد للعمل على تلافي الأمر، وتدخل الشيخ الشيبلي وغيره من الشخصيات لإبدال الحكم وتخفيفه.

وشيعني واحد فقط إلى محطة القطار في أور. انتابني صداع شديد. الأرض تدور بي. أنكاري كأنها الريح سريعة الجريان، لا تستقر، ولا تصل إلى تقديري.

كتب والدي في إحدى مخطوطاته واصفاً كيف وأين تلقى خبر إصدار حكم الإعدام بشقيقه حسين الشيبلي (صارم) وكيفية تنفيذ حكم الإعدام. ويربط الوالد كارتة الجريمة بأحلام تراث له ولوالدته قبل إصدار وتنفيذ جريمة الإعدام. فكتب:

١٩٤٨ / ٢٢ / ٠٩

رأيت حلماً: كأني أجالس اثنين أحدهما يدعى - نعلم بشير- (١) وكان هذا يقول لي:

"أنا أخو - مدحت باشا- وأنا أعيش متنكر لأنني طريد الحكومة، وجئت إليك، أرجو أن تذهب إلى خانوت - عبد الجبار الغريابوي - فليده كؤوس تحمل صورة أخي - مدحت- اشتر لي منها واحداً"

وكأني قصدت الخانوت المذكور.

وجدت على مصطبة في مقدمة الخانوت: حيوانا يشبه الجرذ، مطروحاً على ورقة، وكأنه ميت، وإلى جانبه كمية كبيرة من - الترشالة- (٢) كانت تتحول إلى ديدان.

يلتهمها بشكل غير محسوس ذلك الجرذ الذي يبدو وكأنه ميت، وهو ينتفخ تدريجياً. في النهاية أنقض عليه قط أسود، وكلمح البرق اختطفه وتوارى عن الأنظار.

في ٣/١٢/١٩٤٨ تسلمت برقية من أبي يطلب أن أرسل أمي - وكانت تقيم عندي في الناصرية- إلى بغداد بسرعة. رفضت أمي ذلك، وطلبت أن تتوجه إلى النجف لتري ما وراء هذا الطلب من أبي. ثم قصت عليّ حلماً رآته. قالت:

"أصرت الليلة وكان بين يدي قفص فيه ثلاثة لابليل، ففتحت باباً فطاروا جميعاً. وأدركني خوف وألم عصر قلبي عصراً. ورحلت أجث أين صاروا؟ لقد اختفى أحدها. وصرت أسمع صوت الثاني يأتي من بعيد. أما الثالث فحظ على شرفة عالية وبعيدة عني، وقد سكن سكون المرجح!"

وسافرت أمي إلى النجف. وبعد عشرين يوماً تسلمت رسالة من أبي يذكر فيها:

"فجأة سحب أخوك ورفيقاه (٣) من سجن الكوت. ويمتد غادرت أمك النجف إلى بغداد تبحث عنه بمساعدة أبن عمها الشيخ محمد رضا والشيخ باقر (٤)، فلم يعثروا بطائل، ولم يعرفوا أين ذهبوا به، وما تزال هناك!"

صرت أعيش مع أفكار مفزعة. أتأمل الجب مكفهر، مليداً بالغيوم، ماذا يجيء لنا القدر؟

تذكرت الملم. ولكنني لم أحتد إلى حل رموزه. سوى أنني أعرف ما حل به (مدحت باشا) (٥).

وخربت ذات صباح إلى المدرسة، فصادفني أحد تجار الحبوب، يدعى عبد زيدان، وكان من يصاحب الشرطة من أجل بعض مصالحه. فأسر لي: "يقال أن معلماً شيعياً من الصائبة في بغداد قبضت عليه الشرطة فأعطى ما عنده من معلومات عن الشيوعيين. واستطاعت الشرطة القبض على عدد كبير منهم حسب

عبد الستار نورعلي

المسرح

أكتبُ كي أحياء،
أشمُ صفحة الهواء والغبار
والمطر،
أناول البشر
يدي التي من جسد
الشجر،
أفتح ما في الروح من
بوابة البصر،
أكتبُ كي أهدى للكبير
صوته،
وللصغير لعبة
من كل ما في اصبعي
من ثمر القمر،
نوراً،
وحباً،
صحبة
لنبي كل ذرة في التراب
والنهر،
أكتب ما في سيرتي
تاريخها،
سطوره نبع وورد،
هجرة،
بحث،
ونجت في الحجر،
حملت فوق الكتف الأحلام
والالام
والطريق والسهل،
حملت ما في سيرة الكون
وفي ملحمة البشر،

الفرح الموعود ضوء باهت
في آخر النفق،
يهبط ليلاً
قطرة ...
قطرة ...
والحزن صوت هادر لا
ينحسر،
زكائياً... زكائياً.....
كالغيث ينهمر،
قد قالها يوماً شكسبير
الكبير المقتدر،
أكتب كي أقدم الوجبة
للجانع
والضائع
والضالع
في قدح الشرر،
أهز هذا العالم الغائب
عن وعي الخطر،
لربما استقبلني الجمهور
في المسرح
بالتصفيق
والتهليل
والزهق،
أو ربما أمطر فوق أحرفي
الحجر،
إن الحياة مسرح،
والنص ملهاة
بإخراج البشر،

عبد الستار نورعلي

السويد



من تراث وادي الرافدين العريق... ميثولوجيا الحزن في عيد الجماعية

جندي عثمان أوسو

في الكثير من المعتقدات القديمة. فقد كانت تقام مثل هذه المراسيم عند الكفانيين كما جاء في التوراة على لسان النبي حزقيال " إذ هناك نسوة جالسات يبكين على تموز...". وعند صابنة حران كانت تقام مراسيم عبادة البوقات بالحزن على اختفاء (تارز) في فصل الخريف. وفي المراثية كانت تقام مراسيم وطقوس ذبح الثور في شهر (مهر) الذي يقابل منتصف شهر تشرين الاول للاحتفال بذكرى ألهة النور والشمس (مشرا) بعد ان قلت ساعات النهار. كما ان تلك المراسيم كانت تقام عند اليونانيين والرومان
وفي الديانة الايزيدية تقام سلسلة مراسيم وطقوس في عيد الجماعة اعتباراً من ٦ تشرين الاول ولغاية ١٣ منه تمثل جميعها اقامة مظاهر الحزن واحياء ذكرى اولئك الصالحين الذين كانوا يمثلون جانب الخير للبشرية. ومن أهم هذه الطقوس مراسيم قاياغ (كاياغ) (الشور القوي والتي تبدأ بأخذ الشور الأبيض من المذبح (كاي كوش) عند مرقد الشيخ عادي في طقوس يشترك فيها عشائر القنادية والموسمية والترک وبمصحبة الألمان الخريزة لاله الدف والشباب (الناي) من قبل القوالين يتخلله ضرب الشور حتى وصوله الى مرقد (الشيخ شمس) وغره من قبل سدة المرقد ليوضع لحمه في (سماط) شيخادي) ويوزع على الزوار في (كلي لالاش) وكتيجة لمحاربة العبادات القديمة من قبل أصحاب الفلسفات الدينية التي ظهرت في المراحل اللاحقه لحضارة وادي الرافدين استبدلت مراسيم وطقوس الحزن الجماعي على اختفاء رمز الخصوبة والحياة في الديانة الايزيدية باحياء ذكرى الاولياء الصالحين في الديانة مثل مراسيم نصب البريات ومراسيم (به ري شياكي) واقامة (الصدا) مع الاحتفاظ باقامة مراسيم انتقال رمز الخصوبة قاياغ (كاياغ) الى العالم السفلي وذلك بذبح الشور الأبيض في فصل الخريف.

لقد حافظت الديانة الايزيدية على التراث العظيم لحضارات وادي الرافدين العريق باقامة مثل هذه المراسيم.

طوبى للذين يمارسون مراسيم عيد الجماعية في معبد لالاش المقدس. وطوبى للذين يحافظون على الارث العريق لحضارة العراق رغم هول المصاعب وكل عام والجميع بألف خير.

اعتقد الانسان القديم أن وراء التغيير في مظاهر الطبيعة مثل الليل والنهار، الصيف والشتاء وغيرها قوى عظمى جسدها الانسان بأهية في السماء. فكانت هناك آلهة للشمس والقمر والحب والزواج والجمال وغيرها تمثلت على الارض برموز مميزة. واقام الانسان مراسيم وطقوس تجدد تلك المظاهر ورموزها باحتفالات مهيبه ومن اهم تلك المراسيم احتفالات عيد رأس السنة الجديد (اكتيو) في الاول من شهر نيسان تيمنا بمجنئ الربيع وازدهار الطبيعة باللون الزاهية الجميلة وكانت هذه المراسيم تمثل مظاهر الفرح والبهجة يظهر آلهة الاخصاب والزواج (دموزي) الملك الذي كان يرمز له بالشور على الارض. وكانت تلك الطقوس تتمثل بمراسيم زواج الملك من الكاهنه العظمى (انتو).

وبعد مضي ستة أشهر على ذلك وجلسول فصل الخريف وموت النباتات وتبيس الاعشاب واصفرار الطبيعة واختفاء مظاهر الحياة على الارض كانت أشعوب القديمة وفي جميع حضارات وادي الرافدين تقيم مراسيم الحزن والعزاء على اختفاء مظاهر الحياة من الطبيعة اعتقد فيها انتقال رمز الحياة (دموزي) الملك المتمثل بالشور الى العالم السفلي. أن اقامة مراسيم الحزن الجماعي في فصل الخريف كانت مشاركة مقدسة من قبل ابناء الشعب في ارسال رمز الحياة والاخصاب والزواج (دموزي) الملك الى العالم الثاني ليظهر بعد ستة أشهر أخرى وفي سنة جديدة مزدهرة. وبذلك كانت تلك المراسيم استعداد للموسم القادم في سقوط الأمطار وحماية البشرية من الكوارث والفيضانات وغيرها.

فقد جاء في ملحمة كلكامش ما نصه " أنت يا دموزي لنصف عام وأختك كشتت انا لنصف عام ". أن اقامة مثل هذه المراسيم تمثل بعد ذاتها مبدأ البداية والنهاية، الخير والشر الظهور والاختفاء في التراث القديم.

لم تتدرس مراسيم وطقوس الحزن الجماعي في انتقاء رمز الحياة والبركة دموزي الملك في فصل الخريف الى العالم السفلي من التراث القديم وأما بقيت لها رواسب